إسلام جماعة عن بني هدل

قال ابن إسحاق: ثم إن ثَعْلَبَةَ بن سَعْيَةَ وأُسَيْدَ بن سَعْيَةَ وَأَسَدَ بن عُبَيْدٍ ـ وهم نَفَرٌ من بني هَدَلٍ، ليسوا من بني قُرَيْظَةَ ولا النَّضِيرِ، نَسَبُهُمْ فَوْقَ ذلك، هم بنو عَمِّ القَوْمِ ـ أَسْلَمُوا تلك اللَّيْلَةَ التي نزلت فيها بنو قُرَيْظَةَ على حُكْمِ رسول الله ﷺ.

أمر عمرو بن سعدى القرظي

خرج في تلك الليلة عَمْرُو بن سُعْدَى القُرَظِيُّ، فَمَرَّ بِحَرَسِ رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مَسْلَمَةَ تلك الليلة، فلما رآه قال مَنْ هذا؟ قال: أنا (١٩٧/ب) عمرو بن سُعْدَىٰ، وكان عمرو قد أَبَىٰ أن يَدْخُلَ مع بني قُرَيْظَةَ في غَدْرِهِمْ بِرَسُولِ الله ﷺ وقال: لا أَغْدِرُ بِمحمَّدٍ أبداً، فقال محمد بن مَسْلَمَةَ حين عرفه: اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنِي إِقَالَةَ عَثَرَاتِ الكِرَامِ، ثم خَلَّىٰ سَبِيلَهُ، فَخَرَجَ عَلَىٰ وجهه، حتى بات في مسجد رسولِ الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذَهَبَ فلم يُدْرَ أَيْنَ تَوَجَّهَ من الأرضِ إلى يومه هذا، فذُكِرَ لرسولِ الله ﷺ شأنه، فقال: «ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ الله بِوَفَائِهِ» وبعضُ الناس يزعُمُ أنه كان أُوثِقَ برُمَّةٍ[1] فيمَنْ أُوثِقَ من بني قُرَيْظَةَ حين نزلوا على حُكْمِ رسول الله ﷺ فأصبَحَتْ رُمَّتُهُ مُلْقَاةً ولا يُدْرَىٰ أين ذَهَبَ، فقال رسول الله ﷺ فيه تِلْكَ المَقالَةَ، والله أعلم أَيُّ ذلك كان.

بنو قريظة تنزل على حكم رسول الله فيحكم فيهم سعد بن معاذ

فلما أصبَحُوا نَزَلُوا علىٰ حُكْمِ رسول الله ﷺ فَتَوَاثَبَتِ الأوسُ فقالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّهُمْ كانوا مَوَالِيَنَا دُونَ الخَزْرَجِ، وقد فَعَلْتَ فِي مَوالِي إخواننا بالأَمْسِ ما قد عَلِمْتَ، وقد كان رسولُ الله ﷺ قبل بني قُرَيْظَةَ قد حَاصَرَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وكانوا حُلفاءَ الخَزْرَجِ، فنزلوا على حُكْمِهِ، فسأله إياهم عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولَ، فَوَهَبَهُمْ له، فَلَمَّا كَلَّمَتْهُ الأَوْسُ قال رسولُ الله ﷺ: «أَلاَ تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟» قَالُوا: بَلَىٰ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَذَاكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ» وكان رسولُ الله ﷺ قد جَعَلَ سَعْدَ بن مُعَاذٍ في خَيْمَةٍ لامرأة من أَسْلَمَ يُقَالُ لها: رُفَيْدَةُ في مسجده، كانت تُدَاوِي الجَرْحَىٰ وَتَحْتَسِبُ بنفسها على خِدْمَةِ مَنْ كانَتْ به ضَيْعَةٌ من المُسْلِمِينَ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حين أصابه السَّهْمُ بِالخَنْدَقِ: «اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُفَيْدَةَ حَتَّىٰ أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ» فلما حَكَّمه رَسُولُ الله ﷺ في بني قُرَيْظَةَ أتاه قومُهُ فحملوه على حِمَارٍ قد وَطَّئُوا له بِوِسَادَةٍ من أَدَمٍ، وكان رَجُلاً جَسِيماً جَمِيلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أَبَا عَمْرٍو،

---

(١) الرُّمَّة: الحَبْلُ البالي، وبه لُقِّب ذو الرُّمَّة الشاعر.

أَحْسِنْ في مَوَالِيكَ، فَإِنَّ رسول الله ﷺ إنما وَلاَّك ذلك؛ لِتُحْسِنَ فيهم، فلما أَكْثَرُوا عليه قَالَ: لَقَدْ أَتَىٰ لسَعْدٍ أَنْ لاَ تأخذه في الله لَوْمَةُ لائم، فَرَجَعَ بعض مَنْ كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فَنَعَىٰ لهم رجالَ بني قُرَيْظَةَ قبل أن يَصِلَ إليهم سعد؛ عَنْ كلمته التي سَمِعَ منه [٧٣٥].

حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه

فلما انتهى سَعْدٌ إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: «قُومُوا إلى سَيِّدِكُمْ» فأما المهاجرون من قريش فيقولونَ: إنما أراد رَسُولُ الله ﷺ الأنصار، وأما الأنصار فيقولون: قَدْ عَمَّ بها رسولُ الله ﷺ المسلمين، فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عَمْرٍو، إنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قد وَلاَّكَ أمر مواليك لِتَحْكُمَ فيهم، فقال سعد بن مُعَاذ: عَلَيْكُمْ بذلك عَهْدُ اللّهِ وميثاقُهُ إنَّ الحُكْمَ فيهم لَمَا حَكَمْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قال: وَعَلَىٰ مَنْ هٰهُنَا؟ في الناحية التي فيها رَسُولُ الله ﷺ وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له؛ فقال رسول الله ﷺ «نَعَمْ» قال سَعْدٌ: فإني أَحْكُمُ فيهم أَنْ تُقْتَلَ الرجالُ، وتُقْسَمَ الأَمْوَالُ، وتُسْبَى الذَّرَارِي والنساءُ!! [٧٣٦].

---

[٧٣٥] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٨٥ ـ ٥٨٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣١ ـ ٣٢) كلاهما عن ابن إسحاق وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥) وأسد الغابة (١/ ٤٦٨) و«البداية والنهاية» (٤/ ١٤٠ ـ ١٤١) و«سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٩ ـ ١٠).

[٧٣٦] ورد هذا من حديث أبي سعيد الخدري وعائشة.

حديث أبي سعيد الخدري:

أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) كتاب الجهاد والسير: باب إذا نزل العدو على حكم رجل حديث (٣٠٤٣) وأطرافه في (٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢) ومسلم (٣/ ١٣٨٨ ـ ١٣٨٩) كتاب الجهاد والسير باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب حديث (٦٤/ ١٧٦٨) وأبو داود (٤/ ٣٥٥) كتاب الأدب باب ما جاء في القيام حديث (٥٢١٥، ٥٢١٦) وأحمد (٣/ ٢٢، ٧١) وأبو يعلى (١١٨٨) وابن حبان (٧٠٢٦) والنسائي في «فضائل الصحابة» (١١٨) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٢٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٥٧ ـ ٥٨) وفي «دلائل النبوة» (٤/ ١٨) والطبراني في «الكبير» (٥٣٢٣).

أما حديث عائشة:

أخرجه البخاري (٢/ ١٣١) كتاب الصلاة: باب الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم حديث (٤٦٣) وأطرافه في (٢٨١٣، ٣٩٠١، ٤١١٧، ٤١٢٢) ومسلم (٣/ ١٣٨٩) كتاب الجهاد: باب جواز قتال من نقض العهد حديث (٦٥/ ١٧٦٩) وأبو داود (٣/ ١٨٦) كتاب الجنائز: باب في العيادة مراراً، حديث (٣١٠١) والنسائي (٢/ ٤٥) كتاب المساجد: باب ضرب الخباء في المسجد، وأحمد (٦/ ٥٦) وابن حبان (٧٠٢٧) وابن سعد (٣/ ٤٢٥) كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

قال ابن إسحاق: فحدَّثني عاصم بن عُمَرَ بن قتادة، عن (١٩٨/أ) عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، عن علقمة بن وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ، قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ[١]» [٧٣٧].

قال ابن هشام: حدَّثني بعضُ من أثق به من أَهْلِ العِلْمِ، أن علي بن أبي طالب صَاحَ وَهُمْ مُحَاصِرو بني قُرَيْظَةَ: يَا كَتِيبَةَ الإيمانِ، وتقدَّمَ هو والزُّبير بن العَوَّام، وقال: واللهِ لأَذُوقَنَّ مَا ذَاقَ حَمْزَة أَوْ لأَفْتَحَنَّ حِصْنَهُمْ، فقالوا: يا محمَّد نَنْزِلُ على حُكْمِ سَعْد بن مُعَاذ [٧٣٨].

تنفيذ حكم سعد بن معاذ في بني قريظة

قال ابن إسحاق: ثم اسْتُنْزِلُوا فَحَبَسَهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ بِالمدينَةِ في دارِ بِنْتِ الحرث امرأةٍ مِنْ بني النجار، ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى سُوقِ المدينة التي هي سُوقُهَا اليَوْمَ، فَخَنْدَقَ بِهَا خَنَادِقَ، ثم بَعَثَ إليهم فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الخنادق: يُخْرَجُ بهم إليه أَرْسالاً[٢]، وفيهم عَدُوُّ اللهِ حُيَيُّ بن أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بن أَسَدٍ رَأْسُ القَوْمِ، وهم سِتُّمائةٍ أو سَبْعُمائةٍ، والمكْثِرُ لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة، وقد قالوا لكَعْبِ بن أسد وهُمْ يُذْهَبُ بهم إلى رسولِ الله ﷺ أَرْسَالاً: يا كَعْبُ، ما تراه يَصْنعُ بنا؟ قال: أفي كُلِّ مَوْطِنٍ لا تَعْقِلونَ؟ أَلاَ تَرَوْنَ الدَّاعِي لا يَنْزَعُ، وأنه مَنْ ذُهِبَ به منكم لا يَرْجِعُ؟! هو واللهِ القَتْلُ؛ فلم يَزَلْ ذلك الدَّأْبَ حتى فَرَغَ منهم رسول الله ﷺ.

شأن حيي بن أخطب

وأُتِيَ بحُيَيِّ بن أَخْطَبَ عَدُوِّ الله وعليه حُلَّةٌ له فُقَّاحِيَّةٌ[٣] (قال ابن هشام: فُقَّاحِيَّةٌ:

---

[٧٣٧] إسناده مرسل.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٨٨) ومن «تفسيره» (٢١/ ٩٧) من طريق ابن إسحاق به، لكن الحديث ثابت من حديث أبي سعيد الخدري وعائشة، وقد تقدما.

[٧٣٨] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٣٩) عن ابن هشام.

---

(١) الأَرْقِعَةُ هنا: السَّمَوات واحِدها: رَقيعٌ، وسُمِّيتَ بذلك؛ لأَن بعضَها كان يَرْقَعُ بعضاً. وبَعضُهم يَجْعَل الرَّقيعَ سَماءَ الدُّنيا لا غَيْر، وكأَنها رُقِعَت بالنجُوم. وهذا الحديثُ يَدُلُّ على عُموم التَّسْمِيَة بها.

(٢) أَرْسالا، أَي: طائِفَةً بَعْدَ طائِفَةٍ.

(٣) فُقَّاحِيَّةٌ، أَي: تَضرب إلى الحُمْرَةِ.

ضَرْبٌ من الوَشْي) قد شَقَّهَا عليه مِنْ كُلِّ ناحية قَدْرَ أَنْمُلَةٍ[1]؛ لِئلاَّ يُسْلَبَهَا، مجموعةً يَدَاه إلى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ، فلما نَظَر إلى رسول الله ﷺ قال: أما واللّهِ ما لُمْتُ نَفْسِي في عَدَاوَتِكَ، ولكنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللّهَ يُخْذَلْ، ثم أقبل على الناس فقال: أَيُّهَا النَّاسُ، إنه لا بأس بِأَمْرِ الله كِتَابٌ وَقَدَرٌ وَمَلْحَمَةٌ كَتَبَهَا اللّهُ عَلى بني إسرائيل، ثم جَلَس فَضُرِبَتْ عنقه؛ فقال جَبَلُ بْنُ جَوَّالٍ الثَّعْلَبِيُّ[2] [من الطويل]:

لَعَمْرُكَ مَا لاَمَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللّهُ يُخْذَلِ

لَجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا ... وَقَلْقَلَ يَبْغِي الْعِزَّ كُلُّ مُقَلْقِلِ[٧٣٩] [3].

لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني محمد بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالَتْ: لَمْ يُقْتَل من نسائهم إلا امرأةٌ واحدةٌ[4]، قالَتْ: واللّهِ إنها لَعِنْدِي تَحَدَّثُ معي تَضْحَك ظَهْراً وَبَطْناً ورسُولُ الله ﷺ يَقْتُلُ رِجَالَهَا في السوق؛ إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمها: أين فلانةُ؟ قالَتْ: أنا واللّهِ، قالَتْ: قُلْتُ لها: ويلك مالك؟! قالَتْ: أُقْتَلُ، قُلتُ: ولِمَ؟ قالَتْ: لِحَدَثٍ أحدثته قالت: فَانْطُلِقَ بها فضُرِبَتْ عنقها، فكانَتْ عائشة تقول: فواللّهِ مَا أَنْسَى عَجَباً منها طِيبَ نَفْسِها وَكَثْرَةَ ضَحِكِهَا وَقَدْ عَرَفَتْ أنها تُقْتَلُ [٧٤٠].

قال ابن هشام: وهي التي طَرَحَتِ الرَّحَا على خَلاَّدِ بْنِ سُوَيْدٍ فقتلته.

---

[٧٣٩] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩) والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٢٢ ـ ٢٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٤٢ ـ ١٤٣) عن ابن إسحاق.

[٧٤٠] إسناده حسن

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٨٩) والحاكم (٢/ ٣٥ ـ ٣٦) من طريق ابن إسحاق به، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، قلت: وهو وهم من الحاكم رحمه الله حيث إن مسلماً لم يخرج لمحمد بن إسحاق احتجاجاً إنما أخرج له في الشواهد والمتابعات.

---

(١) الأَنْمَلَةُ: طَرَفُ الإِصبع، وقد تُسَمَّى الأَصابعُ كُلُّها أَنامِلَ.

(٢) قال الشيخ أبو ذر الخشني: جَبَلُ بنُ جَوّالٍ الثَّعْلَبِيُّ: هُوَ هنا بالثاء المُثَلَّثة والعين المُهمَلة وهو من بني ثَعْلَبَةَ بن سعْدِ بن ذُبْيانِ بن بَغيض بن رَيْثِ بنَ غَطَفان. قال الدَّارَقُطنِيّ له صُحْبَةٌ. قال أبو عبيد: كان يَهودياً فأَسْلَم.

(٣) قَلْقَل، معناه: تَحرَّك وسَارَ. ينظر البداية والنهاية (٤/ ١٤٣).

(٤) قال الشيخ أبو ذر الخشني: اسم هذه المرأةِ الّتي ضُرِبَت عُنُقُها بُنانةُ وهي امْرأة الحَسَن القُرَظِيّ، كانت قد أَلْقَت رَحًى على رَجُلٍ منَ المسلمِين من أُطُمٍ من الآطامِ فَقَتَلَتْه.

شأن الزبير بن باطا القرظي

قال ابن إسحاق: وقد كان ثابتُ بن قَيْس بن الشَّمَّاسِ ـ فيما ذكر لي ابن شهاب الزُهْرِيُّ ـ أَتَى الزُّبيرَ بن بَاطَا القُرَظِيَّ ـ وكان يُكْنَى أبا عبد الرحمن، وكان الزُّبيرُ قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شَمَّاسٍ في الجاهلية، وذَكَرَ لي بعضُ ولد الزُّبيرِ أنه كان قَدْ مَنَّ عليه يوم بُعَاثٍ، أَخَذَهُ فَجَزَّ ناصيته ثم خَلَّى سبيله (١٩٨/ب) فجاءه ثَابِتٌ وهو شَيْخٌ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تَعْرِفني؟ قال: وَهَلْ يَجْهَلُ مثلي مثلَكَ؟ قَالَ: إِنِّي قد أَرَدْتُ أَنْ أَجْزِيَكَ بيدك عندي؛ قال: إنَّ الكريمَ يَجْزِي الكريمَ، ثُمَّ أتى ثابت بن قَيْس رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ اللّهِ، إنه قد كَانَتْ لِلزُّبيرِ عَلَيَّ مِنَّةٌ، وقد أَحْبَبْتُ أن أجزيه بها، فَهبْ لِي دَمَهُ، فقال رسول الله ﷺ: «هُوَ لَكَ» فَأَتَاهُ، فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قَدْ وَهَبَ لي دمك فهو لك، قَالَ: شَيْخٌ كبيرٌ لا أَهْلَ له وَلاَ وَلَدَ فما يَصْنَع بالحياة؟! قال: فَأَتَى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ فقال: بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، يا رسول الله، هَبْ لي امرأته وولده، قال: «هُمْ لَكَ» قال: فأتاه، فَقَالَ: قد وَهَبَ لِي رسولُ الله ﷺ أَهْلَكَ وولدك، فَهُمْ لَكَ، قال: أَهْلُ بَيْتٍ بالحجاز لا مَالَ لهم، فما بَقَاؤُهُمْ على ذلك؟! فأتى ثابتٌ رسولَ الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللّهِ، مَالَهُ؟! قال «هُوَ لَكَ» فأتاه ثابتٌ فقال: قد أعطاني رَسُولُ الله ﷺ مَالَكَ فهو لَكَ، قال: أَيْ ثَابِتُ ما فَعَلَ الْذِي كَأَنَّ وَجْهَهُ مِرْآةٌ صِينِيَّةٌ يتراءى فيها عَذَارَى الحَيِّ كَعْبُ ابن أَسَدٍ؟ قال: قُتِل، قال: فما فعل سَيِّدُ الحاضِرِ والبادي حُيَيُّ بن أَخْطَبَ؟ قال: قُتِلَ، قال: فما فعل مُقَدِّمَتُنَا إذا شَدَدْنَا وحَامِيَتُنَا إِذَا فَرَرْنَا عَزَّال بن سَمْوَالَ؟ قال: قُتِلَ، قال: فما فَعَلَ المَجْلِسَانِ؟ يعني: بني كَعْب بن قُرَيْظَةَ وَبَنِي عَمْرِو بن قُرَيْظَةَ، قال: ذَهَبُوا قُتِلُوا، قال: فإني أَسأَلُكَ يا ثابتُ بيدي عندك إلا ألحقتني بالقَوْمِ، فواللّهِ ما في العَيْشِ بعد هؤلاءِ مِنْ خَيْرٍ، فما أنا بصابرٍ للّهِ فَتْلَةَ دَلْوٍ نَاضِحٍ[1] حتى أَلْقَى الأَحِبَّةَ، فَقَدَّمَهُ ثابتٌ فَضَرَبَ عنقه، فلما بلغ أَبا بكر الصديقَ قَوْلُهُ أَلْقَى الأَحِبَّةَ، قال: يلقاهم واللّهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خالداً فيها مخلداً [٧٤١].

---

[٧٤١] إسناده ضعيف؛ لإرساله.

أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩٠) والبيهقي في «دلائل» (٤/ ٢٣ ـ ٢٥) كلاهما عن ابن =

---

(١) قال الشيخ أبو ذر: الناضِحُ: الجَمَلُ الذي يُسْتَخْرَجُ عليه الماءُ من البئر بالسانية. وأراد بقَوْلِه: فَتْلَةَ دَلْوِ ناضِح: مِقْدارَ ما يأخُذُ الرجلُ الدَّلْوَ إذا خَرَجَتْ فَيَصُبُّها في الحَوْض ثُمَّ يَفْتِلُها أو يَرُدّها إلى موضِعِها، ومَن رواه: قَبْلَةَ بالقاف والباء فهو بمقدارِ ما يَقْبَلُ الرجلُ الدَّلْوَ فَيَصُبُّها في الحَوْض ثم يَصْرفها، وهذا كُلُّه لا يكون إلاّ عن اسْتِعْجالٍ وسُرْعَةٍ.

قال ابن هشام: قَلْلَةَ دَلْوٍ نَاضِحٍ، وقال زُهَيْر بن أبي سُلْمَى في قَبْلة [من البسيط]:

وقَـابِـلٌ يَـتَـغَـنَّـى كُـلَّـمَـا قَـدَرَتْ عَـلَـى الْـعَـرَاقِـي يَـدَاهُ قَـائِـمـاً دَفَـقَـا[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: وَيُرْوَىٰ: «وَقَابِلٍ يَتَلَقَّىٰ» يعني: قابل الدلو يتناول [٧٤٢].

شأن عطية القرظي ورفاعة بن سموال

قال ابن إسحاق: وكان رسولُ اللّهِ ﷺ قد أمر بقتل كل مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ [٧٤٣].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني شُعْبَةُ بن الحَجَّاج، عن عبد الملك بن عُمَيْر، عن عطية القُرَظِيِّ، قال: كان رَسُولُ اللّهِ ﷺ قد أَمَرَ أَنْ يُقْتَلَ مِنْ بني قريظَةَ كُلُّ من أَنْبَتَ منهم، وكُنْتُ غُلاَماً، فوجدوني لم أُنبِتْ، فَخَلَّوْا سبيلي [٧٤٤]، قال: وحدَّثني أيوب بن عبد

= إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٤٣).

وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ١٤ ـ ١٥) وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٤/ ٢٠) عن موسى بن عقبة.

[٧٤٢] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٤٣ ـ ١٤٤) عن ابن هشام.

[٧٤٣] ذكره الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٩١) و«دلائل النبوة» (٤/ ٢٤) و«البداية والنهاية» (٤/ ١٤٤).

[٧٤٤] أخرجه أبو داود (٢/ ٥٤٦) كتاب الحدود: باب في الغلام يصيب الحد حديث (٤٤٠٤، ٤٤٠٥) والترمذي (٤/ ١٢٣) كتاب السير: باب ما جاء في النزول على الحكم حديث (١٥٨٤) والنسائي (٦/ ١٥٥) كتاب الطلاق: باب متى يقع طلاق الصبي (٨/ ٩٢) كتاب قطع السارق: باب حد البلوغ، وذكر السن التي إذا بلغها الرجل أقيم عليه الحد، وابن ماجه (٢/ ٨٤٩) كتاب الحدود: باب من لا يجب عليه الحد ـ حديث (٢٥٤١، ٢٥٤٢) وأحمد (٤/ ٣١، ٣٨٣، ٥/ ٣١١) والحميدي (٢/ ٣٩٤) رقم (٨٨٨) والدرامي (٢/ ٢٢٣) كتاب السير: باب حد الصبي متى يقتل، والحاكم: باب البلوغ بالإنبات، كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي به.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: حديث رواه جماعة من أئمة المسلمين عن عبد الملك بن عمير ولم يخرجاه، كأنهما لم يتأملا متابعة مجاهد بن جبر عبد الملك على روايته عن عطية القرظي.

ثم أخرجه (٢/ ١٢٣) من هذا الطريق، وقال: فصار الحديث بمتابعة مجاهد صحيحاً على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

---

(١) القابِلُ هنا: الَّذي يَقْبَلُ الدَلْوَ، والعَرَاقي: جمعُ عَرْقُوَةٍ وهو العُودُ الَّذي يكون في أَدْنَى الدَّلْو، ودَفَقَ الماء، أي: صَبَّه.

وينظر ديوانه ص (٤٠)، ولسان العرب (١١/ ٤٥٢) (قبل) وتاج العروس (قبل)، وجمهرة اللغة ص (٣٧٢)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٥/ ٣٥).

الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعْصَعَةَ أخو بني عدي بن النَّجَّارِ، أَنَّ سَلْمَى بنتَ قيس أُمَّ المُنْذِرِ أخت سليط بن قَيْسٍ، وكانَتْ إحدَىٰ خالاتِ رسول الله ﷺ قد صَلَّتْ معه القبلتين وبايعته بَيْعَةَ النِّسَاءِ؛ سألته رِفَاعَةَ بْنَ سَمْوَال القُرَظِيَّ، وكان رجلاً قد بَلَغَ فَلاَذَ بها[1]، وكان يَعْرِفُهُمْ قبل ذلك، فقالَتْ، يا نَبِيَّ الله، بأبي أَنْتَ وأمي، هَبْ لي رِفَاعَةَ؛ فإنه قد زعم أنه سَيُصَلِّي، ويَأْكُلُ لَحْمَ الجَمَلِ، قال: فوهبه لها، فاسْتَحْيَتْهُ [٧٤٥].

رسول الله يقسم في بني قريظة

قال ابن إسحاق: ثُمَّ إنَّ رسول الله ﷺ قَسَمَ أَمْوَالَ بني قُرَيْظَةَ وَنساءَهُمْ وأبناءهم على المسلمين، وأَعْلَمَ في ذلك اليوم (١٩٩/أ) سُهْمَانَ الخَيْلِ وسُهْمَانَ الرجال، وأَخْرَجَ منها الخُمُسَ؛ فكان للفارِسِ ثلاثةُ أسهم، للفرسِ سَهْمَانِ، ولفارسه سَهْمٌ، وللراجل ـ مَنْ لَيْسَ له فرس ـ سَهْمٌ، وكانت الخيلُ يَوْمَ بني قُرَيْظَةَ ستةً وثلاثينَ فرساً، وكان أولَ فَيْءٍ وقَعَتْ فيه السُّهْمَانُ وأُخْرِجَ منه الخُمُسُ؛ فعلى سُنَّتِها وما مضَىٰ من رسول الله ﷺ فيها وقَعَتِ المَقَاسِمُ ومضَتِ السُّنَّةُ في المغازي.

ثم بعث رسولُ الله ﷺ سَعْدَ بْنَ زَيدٍ الأنصاريَّ أخا بني عبد الأشهلِ بسَبَايَا مِنْ سَبَايَا بني قُرَيْظَةَ إلى نَجْدٍ، فابتاع لهم بها خَيْلاً وَسِلاحاً.

شأن ريحانة بنت عمرو القرظية مع رسول الله

وكان رسولُ ﷺ قد اصْطَفَىٰ لنفسه مِنْ نِسائهم رَيْحَانَةَ بِنْتَ عَمْرِو إِحْدَىٰ بني عمرو بن قُرَيْظَةَ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى تُوُفِّيَ عنها وهي في مِلْكِهِ، وقد كان رسولُ الله ﷺ عَرَضَ عليها أن يتزوَّجَهَا وَيَضْرِبَ عليها الحِجَابَ، فقالَتْ، يا رسُولَ اللّهِ، بل تَتْرُكُنِي في مِلْكِكَ فَهُوَ أَخَفُّ عليَّ وعليك، فَتَرَكَهَا، وقد كانَتْ حين سباها قد تَعَصَّتْ بالإسلام وأَبَتْ إلا اليهوديَّةَ، فعزلها رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَوَجَدَ في نفسه لذلك من أمرها، فَبَيْنَا هو مع أصحابه إذ سَمِعَ وقْعَ نَعْلَيْنِ خَلْفَهُ، فقال: «إِنَّ هذَا لَثَعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ يُبَشِّرُنِي بإِسْلاَمِ رَيْحَانَةَ» فجاءه، فقال: يا رسولَ اللّهِ، قد أَسْلَمَتْ رَيْحَانَةُ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهَ [٧٤٦].

---

[٧٤٥] إسناده ضعيف؛ لإرساله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٩١) وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٤٤) عن ابن إسحاق.

وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

[٧٤٦] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٩١ ـ ٥٩٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٤ ـ ٢٥) كلاهما =

---

(١) لاَذ بها، أي: لَصَقَ بها ولجأ إليها.

نزول قصة الخندق وبني قريظة في القرآن

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالَىٰ في أَمْرِ الخَنْدَقِ وأَمْرِ بني قريظة من القرآن القِصَّةَ في سورة الأحزاب؛ يَذْكُرُ فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عَلَيْهِمْ، وكفايته إيَّاهُم حِينَ فَرَّجَ الله ذلك عنهم بعد مَقَالَةِ مَنْ قال من أهل النفاق. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ والجُنُودُ: قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ وبنو قُرَيْظَةَ، وكانَتِ الجنودُ التي أرسل الله عليهم مَعَ الرِّيحِ الملائِكَةَ [٧٤٧]، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾﴾ فالذين جاءوهُمْ مِنْ فوقهم: بَنُو قُرَيْظَةَ، والذين جاءوهم مِنْ أَسْفَلَ منهم: قُرَيْشٌ وغَطَفَانُ [٧٤٨] يقول الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾؛ لقول مُعَتِّب بن قُشَيْرٍ إذ يَقُولُ ما قال [٧٤٩] ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۖ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾؛ لقول أَوْسِ بن قَيْظِيٍّ ومَنْ كان على مثل رَأْيِهِ من قومه [٧٥٠] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: المدينة.

قال ابن هشام: الأَقْطَارُ الجَوَانِبُ، وواحدها: قُطْرٌ، وهي الأقتار، وواحدها: قتر؛ قال الفرزدق [من الكامل]:

كَمْ مِنْ غِنًى فَتَحَ الإِلٰهُ لَهُمْ بِهِ ... وَالْخَيْلُ مُقْعِيَةٌ عَلَى الأَقْطَارِ[1]

ويروى «عَلَى الأَقْتَارِ» وهذا البيت في قصيدة له.

= من طريق ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢٠٧) و«سبل الهدى والرشاد» (٥/ ١٦).

[٧٤٧] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٦٤) رقم (٢٨٣٦٦) من طريق ابن إسحاق قال: ثنى يزيد بن رومان به.

[٧٤٨] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧) رقم (٢٨٣٧٠) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان.

[٧٤٩] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٦٨) رقم (٢٨٣٧٥) من طريق محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان.

[٧٥٠] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٠) رقم (٢٨٣٨٠) عن ابن إسحاق.

---

(١) الخيلُ مُقْعِيَةٌ عَلَى الأَقْطَار، أراد: أنها ساقِطةٌ على أَجْنابِها تَرومُ القِيامَ كما تُقْعِي الكِلابُ على أذنابِها وأفخاذِها. وينظر ديوانه ص (٢٦٥) وفيه «الأقتار» بدل «الأقطار».

﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي: الرجوعَ إلى الشرك، ﴿لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ فهم بنو حارِثَةَ، وهم الذين هَمُّوا أن يَفْشَلُوا يوم أُحُد مع بني سَلِمَةَ حين هَمَّتَا بالفَشَلِ يوم أحد، ثم عَاهَدُوا الله ألاَّ يعودوا لمثلها أبداً، فذكَرَ لهم الله الذي أَعْطَوْا من أنفسهم، ثم قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾[1] أي: أهلَ النفاق، ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: إلاَّ دَفْعاً وتعذيراً[2]، ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي: للضِّغْنِ[3] الذي في أنفسهم، ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: إعظاماً له وفَرَقاً منه، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ أي: في القَوْلِ بما لا تُحِبُّونَ؛ لأنهم لا يرجون آخرةً ولا تحملهم حِسْبَةٌ؛ فهم يهابون المَوْتَ هَيْبَةَ مَنْ لا يَرْجُو ما بعده.

قال ابن هشام: سَلَقُوكُمْ: بالغوا فيكم بالكَلاَمِ فأحرقوكم وآذَوْكُمْ؛ تقول العرب: خَطِيبٌ سَلاَّقٌ وخطيبٌ مِسْلَقٌ [ومِسْلاَقٌ]؛ قال أعشَى بني قَيْس بن ثعلبة [من الخفيف]:

فِيهِمُ الْمَجْدُ والسَّمَاحَةُ والنَّجْـ ... ـدَةُ فِيهِمْ وَالْخَاطِبُ السَّلاَّقُ[4]

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ﴾ قريشٌ وغَطَفَانُ [٧٥١]، ﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم أقبل على المؤمنين فقَالَ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ أي: لِئلاَّ يرغبوا بأنفسهم عَنْ نفسه ولا عَنْ مكانٍ هُوَ به، ثم ذَكَرَ المؤمنين وصِدْقَهُمْ وتصديقَهُمْ بما وَعَدَهُمُ الله من البلاء؛ ليختبرهم به، فقال: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: صَبْراً على البلاء،

---

[٧٥١] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٦) عن ابن إسحاق.

---

(١) المُعَوِّقِينَ: هو هنا جَمْعُ مُعوِّق وهو الَّذي يُمْسك صاحِبَه عن وَجْهِه الَّذي يُريد أو يُفْسِد نِيَّته في قَصْدِه، يقال: عاقَني عنِ الأمْر وَعوَّقَني إذا أمسَكَني عنه وحَبَسَني.

(٢) دَفْعاً وتَعْذيراً. والتَّعْذيرُ: أن يَفْعل الرجل الشيء بِغَيْر نِيَّةٍ، وإنَّما يريد أن يُقيم به العُذْر عِنْدَ مَنْ يَراه.

(٣) الضِّغْنُ: العَداوة.

(٤) ويروى في هذا البيت «الحزم» بدل «المجد» ينظر ديوانه ص (٢٦٥)، ولسان العرب (١٠/ ١٦٠) (سلق)، وتهذيب اللغة (٨/ ٤٠٢)، وديوان الأدب (١/ ٣٢٩)، تاج العروس (٢٥/ ٤٥٨) (سلق).

وتسليماً للقضاء، وتصديقاً للحَقّ لما كان وَعَدَهُمُ اللّهُ تعالىٰ ورسولُهُ ﷺ [٧٥٢] ثم قال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ أي: فَرَغَ من عمله، وَرَجَعَ إلى ربه، كَمَن ٱسْتُشْهِد يوم بَدْرٍ ويَوْمَ أُحُدٍ [٧٥٣].

تفسير النحب

قال ابن هشام: قَضَى نَحْبَهُ: مات، والنَّحْبُ: النَّفْسُ؛ فيما أخبرني أبو عبيدة، وجمعهُ نُحُوبٌ؛ قال ذو الرُّمَّة [من الطويل]:

عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَ مَا ... قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبَرُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له، وهَوْبَرٌ، من بني الحرث بن كعب، أراد يزيد بن هَوْبَرٍ، والنَّحْبُ أيضاً: النَّذْرُ؛ قال جَرِيرُ بْنُ الخَطَفَىٰ [من الطويل]:

بِطِخْفَةَ جَالَدْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا ... عَشِيَّةَ بِسْطَامٌ جَرَيْنَ عَلَىٰ نَحْبِ[2]

يقول: على نَذْرٍ كانَتْ نَذَرَتْ أن تقتله فقتلته، وهذا البيت في قصيدة له، وبِسْطَام: بِسْطَامُ بن قيس بن مسعود الشيبانيُّ، وهو ابن ذي الجَدَّيْنِ، حدَّثني أبو عبيدة أنه كان فَارِسَ ربيعة بن نِزَارٍ، وطِخْفَةُ: موضعٌ [بطريق البصرة]، والنَّحْبُ أيضاً: الخِطَارُ، وهو: الرِّهَانُ؛ قال الفرزدق [من الطويل]:

وَإِذْ نَحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَيُّنَا ... عَلَى النَّحْبِ أَعْطَى لِلْجَزِيلِ وَأَفْضَلُ

والنَّحْبُ أيضاً: البكاء؛ ومنه قولهم: ينتحب: والنَّحْبُ أيضاً: الحاجة والهمة، تقولُ: مالي عندهم نَحْبٌ؛ قال مالك بن نُوَيْرَةَ اليَرْبُوعِيُّ [من الطويل]:

وَمَالِيَ نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنَّنِي ... تَلَمَّسْتُ مَا تَبْغِي مِنَ الشُّدْنِ الشُّجْرِ[3]

---

[٧٥٢] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٨) عن ابن إسحاق.

[٧٥٣] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٩) عن ابن إسحاق.

---

(١) يروى عجزه هكذا:

.... قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر

ينظر ديوانه ص (٢٣٥).

(٢) طَخْفَةُ: اسمُ جَبَل كانت به وَقِيعَةٌ، وعَشِيَّةَ بِسْطَام، يعني: العَشِيَّةَ الَّتي قُتِلَ فيها بِسطامُ بنُ قَيس. وينظر ديوانه (٦٣٢)، ولسان العرب (١/ ٧٥٠) (نحب)، ٩/ ٢١٣ (طخف)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص (٢٨٥).

(٣) الشُّدُنُ هنا: إبلٌ مَنسوبةٌ إلى شَدَنٍ مَوضع باليَمن وهي الَّتي يُقال فيها الإبل الشَّدَنيةُ أيضاً، والشُّجر: التي في أعْيُنِها حُمْرَةٌ.

وقال نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ أحد بني تَيْم اللاتِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكَابَةَ بن صَعْبِ بن علي بن بكر بن وائل.

قال ابن هشام: هو مولًى أبي حنيفة الفقيه [من الوافر]:

وَنَجْىٰ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ رَكْضٌ ... دِرَاكٌ بَعْدَ مَا وَقَعَ اللِّوَاءُ[1] (٢٠٠/أ)

وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَقَضَيْتُ نَحْباً ... بِهِ وَلِكُلِّ مُخْطَأَةٍ وَقَاءُ

والنحب أيضاً: السير الخفيفُ المَرُّ

قال ابن إسحاق: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ أي: ما وعدَ الله به مِنْ نَصْرِهِ والشهادةِ على ما مضَىٰ عليه أصحابه [٧٥٤]، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ أي: ما شَكُّوا وما تَرَدَّدُوا في دينهم وما اسْتَبْدَلُوا به غيره، ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ﴾ أي: قريشاً وغَطَفَانَ، ﴿لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: بَني قُرَيْظَةَ.

تفسير الصياصي

﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ والصَّيَاصِي: الحصون والآطام التي كانوا فيها [٧٥٥].

قال ابن هشام: قال سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الحَسْحَاسِ، وبنو الحَسْحَاسِ: من بني أسد بن خزيمة [من الطويل]:

وَأَصْبَحَتِ الثِّيرَانُ صَرْعَىٰ وَأَصْبَحَتْ ... نِسَاءُ تَمِيمٍ يَبْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا[2]

وهذا البيت في قصيدة له، والصَّياصِي أيضاً: القُرُونُ؛ قال النابغة الجعديُّ [من المتقارب]:

---

[٧٥٤] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٧٩) رقم (٢٨٤١٦) عن ابن إسحاق.

[٧٥٥] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٧) رقم (٢٨٤٤٩) عن ابن إسحاق.

---

(١) الرَّكْضُ: الجَرْيُ، وَدِرَاكٌ أي: مُتَتابِعٌ.

(٢) ويروى هذا البيت هكذا:

فأصبحت الثيران غرقى وأصبحت ... نساء تميم يلتقطن الصياصيا

ينظر ديوانه ص (٣٣)، ولسان العرب (٧/ ٥٢) (صيص)، ١٤/ ٤٧٤ (صيا)، وتاج العروس (١٨/ ٢٧) (صيص)، وللنابغة الجعدي في ديوانه ص (١٧٩)، ولسان العرب (١٢/ ٨٩) (جذم)، والمخصص (٦/ ٥٩، ١٢/ ٢٦٠، ١٦/ ٣٨).

وَسَـادَةَ رَهْـطِـيَ حَـتَّـىٰ بَـقِـيـ ـتُ فَـرْداً كَـصِـيـصِـيَـةِ الْأَعْـضَـبِ[1]

يقول: أصاب الموتُ سادَةَ رَهْطِي، وهذا البيتُ في قصيدة له؛ وقال أبو دواد الإيادِيُّ [من الخفيف]:

فَـذَعَـرْنَـا سُـخْـمَ الـصَّـيَـاصِـي بِـأَيْـدِيـ ـهِـنَّ نَـضْـخٌ مِـنَ الـكُـحَـيْـلِ وَقَـارُ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

والصَّيَاصِي أيضاً: الشَّوْكُ الذي للنساجين فيما أخبرني أبو عُبَيْدَةَ، وأنشدني لدُرَيْدِ بن الصِّمَّةِ الجُشَمِيِّ، جُشَم بن معاوية بن بَكْر بن هوازن [من الطويل]:

نَـظَـرْتُ إِلَـيْـهِ وَالـرِّمَـاحُ تَـنُـوشُـهُ كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجُ الْمُمَدَّدِ[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

والصياصي أيضاً: التي تكون في أرجل الديكة ناتئةً كأنها القُرُونُ الصغار.

والصياصي أيضاً: الأُصُولُ؛ أخبرني أبو عبيدة أن العرب تقول: جَذَّ[4] الله صِيصِيَتَهُ، أي: أصله.

قال ابن إسحاق: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ أي: قَتَلَ الرجالَ وَسَبَى الذرارِيَ والنِّسَاءَ [٧٥٦]، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾

---

[٧٥٦] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٧) رقم (٢٨٤٥٥) عن ابن إسحاق.

---

(١) الأَعْضَبُ: المَكْسور القَرْن.

(٢) فَذَعَرْنَا سُخْمَ الصَّيَاصِي: هو من الذُّعر وهو الفَزَعُ، والسُّخم: السُودُ، والصَّيَاصِي: القُرُون، ويعني بِسُخْمِ الصَّياصي: الوُعولَ الَّتي في الجِبالِ. ونَضْخٌ، أي: لَطْخٌ، والكُحَيْل: القِطْرانُ، والقارُ: الزِفتُ وإنّما أراد ما في أيْدِيها مِن السَّوادِ فشَبَّهَه بالكُحَيْل والقار.

(٣) تنوشُه، أي: تَتَناوَلُه.
ويروى صدر هذا البيت هكذا:
فـجـئـت إلـيـه والـرمـاح تـنـوشـه .....
ينظر ديوانه ص (٦٣)، ولسان العرب (٦/ ٣٦١) (نوش)، (٧/ ٥٢)، (صيص)، (١٠/ ١٩٣) (شيق)، (١٤/ ٤٧٣) (صيا)، وكتاب العين (٧/ ١٧٦)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٢٦٦)، وتاج العروس (١٨/ ٢٧) (صيص)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص (٢٤٢)، والمخصص (١٢/ ٢٦٠) وراجع المزيد من مصادر البيت في ديوانه ص (٦٣).

(٤) جَذَّ: هو ها هنا بالذال المُعْجَمَة لا غَيْر، ومَعْناه: قَطَع، ويُقال: جَذَّ وجَدَّ بذال مُعجَمَةٍ ومُهْمَلَةٍ بِمَعْنًى واحِدٍ.

يعني: خيبر [٧٥٧]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

وفاة سعد بن معاذ

قال ابن إسحاق: فلما انقضىٰ شَأْنُ بني قريظة ٱنْفَجَرَ بِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ جرحُهُ، فمات منه شهيداً [٧٥٨].

قال ابن إسحاق: حَدَّثني مُعَاذُ بْنُ رِفاعةَ الزُّرَقِيُّ، قال: حدَّثني من شِئْتُ مِنْ رجالِ قومي أن جبريلَ عليه السلام أتىٰ رسولَ اللّهِ ﷺ ـ حين قُبِضَ سعد بن مُعَاذٍ ـ مِنْ جَوْفِ الليل مُعْتَجِراً بعمامة من إِسْتَبْرَقٍ، فقال: يا محمَّدُ، مَنْ هذا المَيِّتُ الذي فُتِحَتْ له أبوابُ السماءِ، واهْتَزَّ له العَرْشُ؟! قال: فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيعاً يَجُرُّ ثَوْبَهُ إلى سَعْدٍ، فوجده قد مات [٧٥٩].

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر، عن عَمْرَةَ بنت عبد الرحمن قالَتْ: أَقْبَلَتْ عائشةُ قافلةً مِنْ مَكَّةَ ومعها أَسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فلقيه موتُ امرأةٍ له، فَحَزِنَ عليها بعض الحُزْنِ، فقالَتْ له عَائِشَةُ: يَغْفِرُ اللّهُ لَكَ يَا أَبَا يَحْيَىٰ، أَتَحْزَنَ عَلَىٰ ٱمْرَأَةٍ وَقَدْ أُصِبْتَ بِٱبْنِ عَمِّكَ وَقَدِ ٱهْتَزَّ له العرش [٧٦٠].

قال ابن إسحاق: (٢٠٠/ب) وحدَّثني من لا أتهم، عن الحسن البصريِّ، قال: كان سعدٌ رجلاً بَادِناً، فلما حمله النَّاسُ وَجَدُوا له خِفَّةً، فقال رجالٌ من المنافقين: واللّهِ إنْ كان لَبَادِناً، وما حَمَلْنَا مِنْ جِنَازَةٍ أَخَفَّ منه، فبلغ ذلكَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فقال: «إِنَّ لَهُ حَمَلَةً

---

[٧٥٧] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٨) رقم (٢٨٤٥٧) عن ابن إسحاق.

[٧٥٨] ينظر «تاريخ الطبري» (٢/ ٥٩٢) و«البداية والنهاية» (٤/ ١٤٣) و«الدرر في اختصار المغازي والسير» ص (٢٠٧).

[٧٥٩] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيوخ معاذ بن رفاعة الزرقي وكذلك إرساله.
وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٩) من طريق ابن إسحاق به.
وذكره ابن الأثير في أسد الغابة (٢/ ٤٦٣) والحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٤٥ ـ ١٤٦) من طريق ابن إسحاق.
وأخرجه أحمد (٣/ ٣٦٠، ٣٧٧) والحاكم (٣/ ٢٠٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٩ ـ ٣٠) كلهم من طريق معاذ بن رفاعة بن رافع عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر بن عبد الله به.

[٧٦٠] إسناده حسن.
وأخرجه أحمد (٤/ ٣٥٢) والحاكم (٣/ ٢٠٧) بسند آخر عن عائشة بنحوه.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

غَيْرَكُمْ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدِ ٱسْتَبْشَرَتِ المَلائِكَةُ بِرُوحِ سَعْدٍ وَاهْتَزَّ لَهُ العَرْشُ» [٧٦١].

إن للقبر ضمة لا ينجو منها أحد

قال ابن إسحاق: وحدَّثني معاذ بن رِفَاعَةَ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجَمُوحِ. عن جابر بن عبد الله، قال: لما دُفِنَ سَعْدٌ ونَحْنُ مع رسولِ الله ﷺ سَبَّحَ رَسُولُ الله ﷺ فَسَبَّحَ النَّاسُ معه، ثُمَّ كَبَّرَ فَكَبَّر الناس معه، فقالوا: يا رسولَ اللّهِ، مِمَّ سَبَّحْتَ؟! قَالَ: «لَقَدْ تَضَايَقَ عَلَى هَذَا العَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَ اللّهُ عَنْهُ» [٧٦٢].

قال ابن هشام: وَمَجَازُ هذا الحديث قَوْلُ عائشَةَ: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَمَّةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْها ناجِياً، لَكَانَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ» [٧٦٣].

رثاء سعد بن معاذ

قال ابن إسحاق: وَلِسَعْدٍ يَقُولُ رجُلٌ من الأنصار [من الطويل]:

وَمَا ٱهْتَزَّ عَرْشُ اللّهِ مِنْ مَوْتِ هَالِكٍ ... سَمِعْنَا بِهِ إِلاَّ لِسَعْدِ أَبِي عَمْرِو[1]

وقالت أم سَعْدٍ حين احْتُمِلَ نَعْشُهُ، وهي تُبَكِّيهِ.

قال ابن هشام: وهي كُبَيْشَةُ بِنْتُ رافِعِ بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر، وهو جُذْرَةُ بن عَوْفِ بن الحرث بن الخزرج [من منهوك الرجز]:

---

[٧٦١] إسناده ضعيف.

شيخ ابن إسحاق مجهول لا يعرف، والحسن البصري أرسل هذا الحديث، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٨٤) من طريق ابن إسحاق.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٤٣٠) عن الحسن مرسلاً.

أما اهتزاز العرش لموته فله شاهد من حديث جابر أخرجه البخاري (٧/ ١٥٤) كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ حديث (٣٨٠٣) ومسلم (٤/ ١٩١٥) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سعد بن معاذ حديث (٢٤٦٦/١٢٤) والترمذي (٥/ ٦٤٧) كتاب المناقب: باب مناقب سعد بن معاذ حديث (٣٨٤٨) وابن ماجه (١/ ٥٦) المقدمة باب فضل سعد بن معاذ حديث (١٥٨) بلفظ: «لقد اهتز العرش لموت سعد بن معاذ».

[٧٦٢] تقدم تخريجه.

[٧٦٣] أخرجه أحمد (٦/ ٥٥، ٩٨) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ١٠٧) من حديث عائشة.

وله شاهد من حديث ابن عمر.

أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٣٠) من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن أبي عمر به.

---

(١) ينظر البداية والنهاية (٤/ ١٤٨).

وَيْـــلُ أُمِّ سَـــعْـــدٍ سَـــعْـــدَا صَـــــرَامَـــــةً وَحَـــــدَّا[1]
وَسُـــــؤْدَداً وَمَـــــجْـــــدَا وَفَـــــارِســـــاً مُـــــعَـــــدَّا
سُـــــدَّ بِـــــهِ مَـــــسَـــــدَّا [يَـــقُـــدَّ هَـــامـــاً قَـــدَّا] [٧٦٤][2]

قال: يقول رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ إلاَّ نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» [٧٦٥].

الشهداء في يوم الخندق

قال ابن إسحاق: وَلَمْ يَسْتَشْهِدْ من المسلمين يَوْمَ الخَنْدَقِ إلا ستَّةُ نَفَرٍ:

من بني عبد الأشهل: سَعْدُ بن مُعَاذٍ، وأَنَسُ بن أَوْسِ بن عَتِيكِ بن عمرو، وعبدُ اللّه بن سَهْلٍ، ثَلاثَةُ نفرٍ.

ومن بني جُشَمَ بْنِ الخزرج، ثم مِنْ بني سَلِمَةَ: الطُّفَيْلُ بن النعمان، وثعلبة بن غَنَمَةَ؛ رجلان.

ومن بني النَّجَّارِ، ثم من بني دينار: كَعْبُ بْنُ زيد، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فقتله.

قال ابن هشام: سَهْمٌ غَرْبٌ، وَسَهْمُ غَرْبٍ، بإضافةٍ، وغيرِ إضافةٍ، وهو: الذي لا يُعْرَفُ من أين جاء ولا مَنْ رَمَىٰ به.

القتلى من المشركين في يوم الخندق

وقُتِلَ مِنَ المشركين ثلاثةُ نَفَرٍ: من بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: مُنَبِّهُ بن عثمان بن عُبَيْد بن السَّبَّاقِ بن عبد الدار، أصابَهُ سَهْمٌ فماتَ منه بِمَكَّة.

قال ابن هشام: هو عُثْمَانُ بن أُمَيَّةَ بن مُنَبِّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ [٧٦٦].

---

[٧٦٤] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/١٤٨).

[٧٦٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/٢٤٨) وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/٩) رقم (٥٣٢٩) من طريق محمد بن إسحاق فذكره.

وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص ذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (١/٢٢٣ ـ ٢٢٤) رقم (٧٩١).

وذكره من حديث سعد، الهيثمي في «المجمع» (٣/١٨) وقال: رواه الطبراني في «الكبير» بإسنادين في أحدهما مسلم الملاني وهو ضعيف، والآخر عن محمد بن إسحاق.

[٧٦٦] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/٥٩٣) عن ابن إسحاق بنحوه.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/١٣٩).

---

(١) وَيْلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْداً، أرادَتْ وَيْلِ أُمِّ فَكَسَرتِ اللَّامَ إتباعاً لِكَسْرةِ الميم: كذا قال الخشني.

(٢) يَقُدُّ هَاماً قَدَّا، الهامُ هنا: جَمْعُ هامَةٍ وهي الرأسُ. وينظر البداية والنهاية (٤/١٤٨).

قال ابن إسحاق: ومِنْ بني مخزوم بن يَقَظَةَ: نَوْفَلُ بن عبد الله بن المغيرة، سألوا رسولَ الله ﷺ أن يبيعهم جَسَدَهُ، وكان اقتحم الخندق فَتَوَرَّطَ[1] فيه، فَقُتِلَ، فَغَلَبَ المسلمون على جَسَدِهِ، فقال رسول الله ﷺ «لاَ حَاجَةَ لَنَا فِي جَسَدِهِ وَلاَ بِثَمَنِهِ»، فخلَّى بينهم وبينه [٧٦٧].

قال ابن هشام: أَعْطَوْا رسول الله ﷺ بجسده عَشَرَةَ آلاف درهم؛ فيما بلغني عن الزهري.

قال ابن إسحاق: ومِنْ بني عامر بن لُؤَيٍّ، ثم مِنْ بني مالك بن حِسْلٍ: عَمْرُو بن عبد وُدٍّ[2] قتله علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه.

قال ابن هشام: وحدَّثني الثِّقَةُ أنه حُدِّثَ عن ابن شهاب الزُّهْرِيِّ أنه قال: قَتَلَ عليُّ بن أبي طالب يومئذٍ عَمْرَو بْنَ عبدِ وُدٍّ وابْنَهُ حِسْلَ بْنَ عَمرٍو.

قال ابن هشام: يقال: عمرو بن [بن] عَبْدِ وُدٍّ، ويقال: عمرو بن عَبْدٍ.

من استشهد من المسلمين في يوم بني قريظة

قال ابن إسحاق: وَاسْتُشْهِدَ يَوْمَ بني قُرَيْظَةَ مِنَ المسلمين، ثم من بني الحرث بن الخزرج: خَلاَّدُ بن سُوَيْدِ بْنِ ثعلبة بن عمرو؛ طُرِحَتْ عليه رَحًى فَشَدَخَتْهُ شَدْخاً شديداً، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لَهُ لأَجْرَ شَهِيدَيْنِ» ومات أبو سِنَانِ بْنُ مِحْصَنِ بْنِ حُرْثَانَ أخو بني أَسدِ بن خُزَيْمَةَ ورسُولُ الله ﷺ مُحَاصِرٌ بني قُرَيْظَةَ، فَدُفِنَ في مَقْبُرَةِ بني قُرَيْظَةَ التي يدفنون (٢٠١/أ) فيها اليَوْمَ، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام.

ولما انصرف أَهْلُ الخَنْدَقِ عن الخَنْدَقِ قَالَ رسول الله ﷺ ـ فيما بَلَغَنِي ـ: «لَنْ تَغْزُوَكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّكُمْ تَغْزُونَهُمْ» فلم تَغْزُهُمْ قُرَيْشٌ بعد ذلك، وكان هو الذي يغزوها حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ [تعالى] عليه مَكَّةَ.

---

[٧٦٧] ينظر السابق.

---

(١) فَتَوَرَّط فيه، أي: انْتَشَبَ.

(٢) عمرو بنُ عَبْدِ وُدٍّ. ويقال عمرو بنُ عَبْدٍ فقط، كذا قال الخشني.

مَا قِيلَ مِنَ الشِّعْرِ فِي أَمْرِ الخَنْدَقِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ

قصيدة لضرار بن الخطاب الفهري في يوم الخندق

وقال ضِرَارُ بنُ الخَطَّابِ بْنِ مِرْدَاسٍ أخو بني مُحَارِبِ بن فِهْرٍ في يوم الخندق [من الوافر]:

وَمُشْفِقَةٍ تَظُنُّ بِنَا الظُّنُونَا ... وَقَدْ قُدْنَا عَرَنْدَسَةً طَحُونَا[1]

كَأَنَّ زُهَاءَهَا أُحُدٌ إِذَا مَا ... بَدَتْ أَرْكَانُهُ لِلنَّاظِرِينَا[2]

تَرَى الأَبْدَانَ فِيهَا مُسْبِغَاتٍ ... عَلَى الأَبْطَالِ وَالْيَلَبَ الْحَصِينَا[3]

وَجُرْداً كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ ... نَؤُمُّ بِهَا الْغُوَاطَ الْخَاطِئِينَا[4]

كَأَنَّهُمُ إِذَا صَالُوا وَصُلْنَا ... بِبَابِ الخَنْدَقَيْنِ مُصَافِحُونَا[5]

أُنَاسٌ لاَ نَرَى فِيهِمْ رَشِيداً ... وَقَدْ قَالُوا: أَلَسْنَا رَاشِدِينَا؟

فَأَخْجَرْنَاهُمُ شَهْراً كَرِيتاً ... وَكُنَّا فَوْقَهُمْ كَالْقَاهِرِينَا[6]

نُرَاوِحُهُمْ وَنَغْدُوا كُلَّ يَوْمٍ ... عَلَيْهِمْ فِي السِّلاَحِ مُدَجَّجِينَا[7]

بِأَيْدِينَا صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٌ ... نَقُدُّ بِهَا الْمَفَارِقَ والشُّئُونَا[8]

كَأَنَّ وَمِيضَهُنَّ مُعَرَّيَاتٍ ... إِذَا لاَحَتْ بِأَيْدِي مُضْلِتِينَا[9]

وَمِيضُ عَقِيقَةٍ لَمَعَتْ بِلَيْلٍ ... تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقَ مُسْتَبِينَا[10]

فَلَوْلاَ خَنْدَقٌ كَانُوا لَدَيْهِ ... لَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا

وَلَكِنْ حَالَ دُونَهُمُ وَكَانُوا ... بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مُتَعَوِّذِينَا

---

(١) العَرَنْدَسَةُ: الشَّديدةُ القُوَّةِ يَعْني: كَتِيبَةً، والطَّحونُ: التي تَطْحَن كُلَّ مَا مَرَّتْ به.

(٢) كأَنَّ زُهَاءَها، أي: تَقْديرَ عَدَدِها.

(٣) الأَبْدانُ هنا: الدُّروعُ، المُسْبَغَاتُ: الكاملَةُ. والْيَلَبُ: التَّرسَةُ، ويقال: هي الدَّرَقُ.

(٤) الجُرْدُ: الخيْلُ العِتاقُ، والقِداحُ: السِّهامُ، والمُسَوَّمَاتُ: المُرْسَلَةُ، ويقال: الغَالِيَةُ الأَسْوامِ؛ وَنَؤُمُ، أي: نَقْصِدُ.

(٥) المُصافَحَةُ: أَخْذُ الرَجل بِيَدِ الرَجُل عند السَلام.

(٦) أخجَرْنَاهُم: معناه حَصَرْناهم. وشَهْراً كَرِيتاً، أي: تاماً كاملاً.

(٧) المُدَجَّجُ بفتح الجيم وكسرها هو الكاملُ السِّلاحِ.

(٨) الصَّوارِمُ: السُّيوفُ. ومُرْهَفاتٌ، أي: قاطِعَةٌ. ونَقُدُّ، أي: تَقْطَعُ. والمَفارِقُ: جَمْعُ مَفْرق، وهو حيثُ يَتَفَرَّقُ الشَّعَرُ في أعْلَى الجَبْهة، والشُّئون هنا: مُجْتَمَعُ العِظام في أعلى الرأسِ.

(٩) الوَميضُ: اللَّمَعانُ، والمُضْلِتُ: الذي جَرَّدَ سَيْفَهُ من غِمْدِهِ.

(١٠) العَقِيقَةُ هنا: السَّحابةُ التي تَنْشَقُّ عن البَرْق.

فَإِنْ نَرْحَلْ فَإِنَّا قَدْ تَرَكْنَا ... لَدَى أَبْيَاتِكُمْ سَعْداً رَهِينَا
إِذَا جَنَّ الظَّلاَمُ سَمِعْتَ نَوْحَى ... عَلَى سَعْدٍ يُرَجِّعْنَ الْحَنِينَا[1]
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ ... كَمَا زُرْنَاكُمُ مُتَوَازِرِينَا[2]
بِجَمْعٍ مِنْ كِنَانَةَ غَيْرِ عُزْلٍ ... كَأُسْدِ الْغَابِ قَدْ حَمَتِ الْعَرِينَا[3]

كعب بن مالك يجيب ضرار بن الخطاب الفهري

فأجابه كعب بن مالك أخو بني سَلِمَةَ رضي الله عنه فقال [من الوافر]:

وَسَائِلَةٍ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا ... وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَتْنَا صَابِرِينَا
صَبَرْنَا لاَ نَرَى لِلَّهِ عِدْلاَ ... عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا
وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ ... بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا
نُقَاتِلُ مَعْشَراً ظَلَمُوا وَعَقُّوا ... وَكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُزْصِدِينَا[4]
نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا ... بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَا
تَرَانَا فِي فَضَافِضَ سَابِغَاتٍ ... كَغُدْرَانِ الْمَلاَ مُتَسَرْبِلِينَا[5]
وَفِي أَيْمَانِنَا بِيضٌ خِفَافٌ ... بِهَا نَشْفِي مَرَاحَ الشَّاغِبِينَا[6]
بِبَابِ الْخَنْدَقَيْنِ كَأَنَّ أُسْداً ... شَوَابِكُهُنَّ يَخْمِينَ الْعَرِينَا[7]
فَوَارِسُنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا ... عَلَى الأَعْدَاءِ شُوساً مُعْلَمِينَا[8]
لِنَنْصُرَ أَحْمَداً وَاللَّهَ حَتَّى ... نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلَصِينَا
وَيَعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا ... وَأَحْزَابٌ أَتَوْا مُتَحَزِّبِينَا
بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ ... وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَا

---

(١) النَّوْحُ والنَّوْحَى: جماعةُ النِساء اللاَّتي تَنُحْنَ.
(٢) مُتَوازِرِينَ، أي: مُتعاونين.
(٣) العُزْلُ: الذين لا سِلاحَ معهم واحِدُهم: أَعْزَلُ. والغَابُ: جَمْعُ غابَةٍ وهو موضِعُ الأَسَد، والعَرِينُ: موضع الأسد أيضاً واحِدَتُهُ: عَرِينَةٌ. وينظر البداية والنهاية (٤/١٤٩، ١٥٠).
(٤) المُرْصِد: المُعِدُّ للأمْرِ، يقال: أَرْصَدْتُ لهذا الأمْر كذا وكذا أي: أعْدَدْتُهُ.
(٥) الفَضافِض هنا الدُروعُ المُتْسِعَةُ، وسابغاتٌ ومُسْبغاتٌ، أي: كاملة، والغُدْرَانُ: جَمْعُ غدير. والمَلاَ: المُتَّسِعُ من الأَرض وهو مقصور، ومُتَسَرْبِلون، أي: لابِسون للدروع.
(٦) المراحُ: النَّشاطُ.
(٧) الشَوابك: تَتَشَبَّثُ بِمَا تأخذُ فلا يُفْلِتُ منها.
(٨) الشُوسُ: جمع أشْوَسَ وهو الذي ينظر نظر المُتَكَبِّر بمُؤَخِّرِ عَيْنِهِ. والمُعْلَم: بفتح اللام وكسرها الذي أَعْلم نَفْسَهُ بعلامةٍ في الحرب لِيُشْتَهَرَ بها، وقد تقدم.

فَإِمَّا تَقْتُلُوا سَعْداً سَقَاهاً ... فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرُ الْقَادِرِينَا
سَيُدْخِلُهُ جِنَاناً طَيِّبَاتٍ ... تَكُونُ مُقَامَةً لِلصَّالِحِينَا
كَمَا قَدْ رَدَّكُمْ فَلاً شَرِيداً ... بِغَيْظِكُمُ خَزَايَا خَائِبِينَا[1]
خَزَايَا لَمْ تَنَالُوا ثَمَّ خَيْراً ... وَكِدْتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَامِرِينَا[2]
بِرِيحٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ ... فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمْهِينَا [٧٦٨][3]

قصيدة لابن الزبعرى في يوم الخندق

وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ في يَوْمَ الخَنْدَقِ [من الكامل]:

حَيِّ الدِّيَارَ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا ... طُولُ الْبِلاَ وَتَرَاوُحُ الْأَحْقَابِ[4]
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رُسُومَهَا ... إِلاَّ الْكَنِيفَ وَمَغْقِدَ الْأَطْنَابِ[5]
قَفْراً كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا ... فِي نِعْمَةٍ بَأَوَانِسٍ أَتْرَابِ[6]
فَاتْرُكْ تَذَكُّرَ مَا مَضَى مِنْ عِيشَةٍ ... وَمَحَلَّةٍ خَلَقِ الْمُقَامِ يَبَابِ[7]
وَاذْكُرْ بَلاَءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرْهُمُ ... سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ[8]
أَنْصَابِ مَكَّةَ عَامِدِينَ لِيَثْرِبٍ ... فِي ذِي غَيَاطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجَابِ[9]
يَدَعُ الْحُزُونَ مَنَاهِجاً مَعْلُومَةً ... فِي كُلِّ نَشْزٍ ظَاهِرٍ وَشِعَابِ[10] ٢٠١/ب

---

[٧٦٨] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٤٩ ـ ١٥١).

---

(١) الفَلُّ: القوم المنهزمون، والشَّريدُ: الطَّريدُ.
(٢) دامِرين، أي: هالكين من الدَّمار وهو الهَلاكُ.
(٣) العاصِفُ: الرِّيح الشَّديدَةُ، والمُتَكَمْهُ: الأعمى الذي لا يُبْصِر. وينظر البداية والنهاية (٤/ ١٥٠، ١٥١).
(٤) الأَحقاب: جَمْعُ حِقْبٍ وهو الدَّهر، والحِقَبُ: السنونَ واحدُها: حِقْبَةٌ.
(٥) الكَنيفَ، يَعْني به الحَظِيرَةَ والزِّرْبَ الذي يُصْنَع للإبل، وسُمِّي كَنيفاً لأنّه يَكْنُفُها أي يَسْتُرُها، وَالأَطْنَابُ: الحِبالُ التي تُشَدّ بها الأَخْبِيَةُ وبُيُوت العرب، وأراد بِمَعْقِدِها الأَوْتاد التي تُرْبَطُ فيها.
(٦) الأَتْرابُ: اللأْبي على سِنٍّ واحِدَةٍ، والواحدة منها: تِرْبٌ.
(٧) اليَباب: القَفْرُ.
(٨) الأنصاب هنا: الحِجارة التي يُعْلَم بها الحَرَمُ، والأَنْصابُ أيضاً: حجارةٌ كانوا يَذْبَحون لها ويُعَظِّمونها.
(٩) في ذي غَيَاطِلَ، يعني جَيْشاً كثيرَ الأَصوات، والغَياطِلُ جَمْعُ غَيْطَلَة، وهي الصَّوتُ هنا، جَحْفَلٌ، أي: جيْشٌ كثيرٌ، جَبْجابٌ: كثيرٌ أيضاً.
(١٠) الحُزُونَ: جَمْعُ حَزْنٍ وهو ما ارتفع من الأرض، والمناهِجُ: جَمْعُ مَنْهَج وهو الطريق البَيِّنُ، والنَّشْزُ: المُرْتَفِع من الأرض، ويقال فيه: نَشَزٌ أيضاً، والشِّعابُ: جَمْعُ شِعْبٍ وهو المُنْخَفِضُ بين جَبَلَيْن.

فِيهَا الْجِيَادُ شَوَازِبٌ مَجْنُوبَةٌ ... قُبُّ الْبُطُونِ لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ[1]

مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ وَأَجْرَدَ سَلْهَبٍ ... كَالسَّيْدِ بَادَرَ غَفْلَةَ الرُّقَّابِ[2]

جَيْشٌ عُيَيْنَةُ قَاصِدٌ بِلِوَائِهِ ... فِيهِ وَصَخْرٌ قَائِدُ الْأَحْزَابِ

قَرْمَانِ كَالْبَدْرَيْنِ أَصْبَحَ فِيهِمَا ... غَيْثُ الْفَقِيرِ وَمَعْقِلُ الْهُرَّابِ[3]

حَتَّى إِذَا وَرَدَا الْمَدِينَةَ وَارْتَدَوْا ... لِلْمَوْتِ كُلَّ مُجَرَّبٍ قَضَّابِ[4]

شَهْراً وَعَشْراً قَاهِرِينَ مُحَمَّداً ... وَصِحَابُهُ فِي الْحَرْبِ خَيْرُ صِحَابِ

نَادَوْا بِرِحْلَتِهِمْ صَبِيحَةَ قُلْتُمُ: ... كِذْنَا نَكُونُ بِهَا مَعَ الْخُيَّابِ

لَوْلاَ الْخَنَادِقُ غَادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ ... قَتْلَى لِطَيْرِ سُغَّبٍ وَذِئَابِ[5]

قصيدة لحسان يجيب بها ابن الزبعرى

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري، فقال [من الكامل]:

هَلْ رَسْمُ دَارِسَةِ الْمَقَامِ يَبَابِ ... مُتَكَلِّمٌ لِمُحَاوِرٍ بِجَوَابِ؟![6]

قَفْرٌ عَفَارِهَمُ السَّحَابِ رُسُومَهُ ... وَهُبُوبُ كُلِّ مُطِلَّةٍ مِرْبَابِ[7]

وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الْحُلُولَ يَزِينُهُمْ ... بِيضُ الْوُجُوهِ ثَوَاقِبُ الْأَحْسَابِ[8]

فَدَعِ الدِّيَارَ وَذِكْرَ كُلِّ خَرِيدَةٍ ... بَيْضَاءَ آنِسَةِ الْحَدِيثِ كَعَابِ[9]

وَاشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الإِلهِ وَمَا تَرَى ... مِنْ مَعْشَرٍ ظَلَمُوا الرَّسُولَ غِضَابِ

سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ وَأَلَّبُوا ... أَهْلَ الْقُرَى وَبَوَادِيَ الْأَعْرَابِ[10]

جَيْشٌ عُيَيْنَةُ وَابْنُ حَرْبٍ فِيهِمُ ... مُتَخَمْطُونَ بِحَلْبَةِ الْأَحْزَابِ[11]

---

(١) الشَّوازِبُ الضامِرَةُ. ومَجْنُوبَةٌ، أي مَقودةٌ، وقُبٌّ أي ضامِرةٌ، ولواحِقُ، أي: ضامِرَةٌ أيضاً، والأقرابُ: جَمْعُ قِرْبٍ وهو الخاصِرة وما يَليها.

(٢) السَّلْهَبَةُ: الطويلَةُ. والسَّيْدُ: الذيبُ.

(٣) قَرْمَان، أي فَحْلان سَيِّدان، والمَعْقِلُ: المَلْجأ.

(٤) ارْتَدَوْا، أي: تَقلّدوا، وكلّ مُجَرَّبٍ، أي: سَيْفاً قد جُرِّبَ، وَقَضَّابٌ، أي: قاطِعٌ.

(٥) سُغْبٍ، أي: جائعَةٍ من قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾. وينظر البداية والنهاية (٤/ ١٥١).

(٦) اليَبَابُ: القَفْرُ وقد تقدّم، والمُحاوِرُ: الذي يُراجعُك وَيَتكلّمُ معك.

(٧) عَفى، أي: غَيَّر ودَرَس، وَرِهَمٌ: جَمْعُ رِهْمَةٍ وهو المَطَر. ومُطِلَّةٌ، أي: مُشْرِفَةٌ وهو هنا بالطاء المهملة فقط، ومِرْبَابٌ، أي: دائمةٌ ثابتَةٌ.

(٨) الحُلول: البُيوتُ المجْتَمِعَة، ثَواقِبُ، أي: نَيِّرَةٌ مُشْرِقَةٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾.

(٩) الخَرِيدَةُ: المَرْأَةُ الناعمةُ الحَيِيَّةُ، والكَعَاب: التي نَهَدَ ثَدْيُها في أوّل ما يَنْهَدُ.

(١٠) أَلَّبوا أي: جَمَعُوا، وقد تقدم.

(١١) مُتَخَمْطُونَ، أي مُخْتَلِطُون، ويقال: المُتَخَمْطُ: الشَّديدُ الغَضَبِ. المُتكبّر. والحَلْبَةُ: جماعةُ الخَيْلِ =

حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَجَوْا ... قَتْلَ الرَّسُولِ وَمَغْنَمَ الْأَسْلَابِ

وَغَدَوْا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ ... رُدُّوا بِغَيْظِهِمُ عَلَى الْأَعْقَابِ[1]

بِهُبُوبِ مُعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ ... وَجُنُودِ رَبِّكِ سَيِّدِ الْأَزْبَابِ[2]

فَكَفَى الْإِلَهُ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ ... وَأَثَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ

مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ ... تَنْزِيلُ نَصْرِ مَلِيكِنَا الْوَهَّابِ

وَأَقَرَّ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصِحَابِهِ ... وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتَابِ

عَاتِي الْفُؤَادِ مُوَقَّعٍ ذِي رِيبَةٍ ... فِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثْوَابِ[3]

عَلِقَ الشَّقَاءُ بِقَلْبِهِ فَفُؤَادُهُ ... فِي الْكُفْرِ آخِرَ هَذِهِ الْأَحْقَابِ[4]

قصيدة لكعب بن مالك الأنصاري يجيب بها ابن الزبعرى أيضاً:

وأجابه كعب بن مالك أيضاً، فقال [من الكامل]:

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً ... مِنْ خَيْرِ نَحْلَةِ رَبِّنَا الْوَهَّابِ[5]

بَيْضَاءَ مُشْرِقَةَ الذُّرَا وَمَعَاطِناً ... حُمَّ الْجُذُوعِ غَزِيرَةَ الْأَحْلَابِ[6]

كَاللُّوبِ يُبْذَلُ جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا ... لِلْجَارِ وَابْنِ الْعَمِّ وَالْمُنْتَابِ[7]

وَنَزَائِعاً مِثْلَ السَّرَاحِ نَمَى بِهَا ... عَلَفُ الشَّعِيرِ وَجَزَّةُ الْمِقْضَابِ[8]

عَرِيَ الشَّوَى مِنْهَا وَأَزْدَفَ نَحْضَهَا ... جُرْدُ الْمُتُونِ وَسَائِرِ الْأَرَابِ[9]

= الَّتِي تُعَدُّ للسِّبَاق.

(١) الأَيْدُ: القُوَّة.

(٢) بِهُبُوب مُعْصِفةٍ، أي: ريح شديدة.

(٣) عاتي الفُؤاد، أي: قاسِيهِ. ومُوَقَّع، أي: ذو عَيْبٍ، وأَصْلُهُ من التَّوْقِيع في ظَهْر الدابّة، وهو انْسِلاخ يكون فيه.

(٤) ينظر ديوانه ص (١١٩، ١٢٠)، والبداية والنهاية (٤/ ١٥١، ١٥٢).

(٥) النَّحْلَةُ: العَطاءُ.

(٦) الذُّرَى: الأعالي، والمَعاطِن: مبارك الإبل حول الماء، وحُمَّ، أي: سودٌ. ويعني بالجُذوع، هنا: أعْناقها، والأحْلابُ: ما يُحْلَبُ منها.

(٧) اللُّوبُ: جَمْعُ لُوبَةٍ وهي الحَرَّةُ، ويُقال فيها أيضاً؛ لابَةٌ وَجَمْعُها: لابٌ، والحَرَّةُ: أرْضٌ ذاتُ حِجارةٍ سُودٍ، وجَمُّها: ما اجْتَمَعَ من لَبنها وكذلك حَفيلُها. والمُنْتاب: هو القاصِد الزائر.

(٨) نزائِعاً، يعني: الخيل العربية التي جُلِبَتْ من أرْضِها إلى غَير أرْضها، والسِّراحُ هنا: الذِّئابُ واحِدُها: سِرْحانٌ، ويقال في جَمْعِهِ: سَراحينُ أيضاً. والسِّرْحانُ في لُغَةِ هُذَيْل: الأَسَد. وجَزَّةُ المِقْضَاب، يعني: ما يُجَزُّ لها من النَّبات فتطعَمُهُ، والمِقْضَابُ: منَ القَضْب وهو القَطْعُ.

(٩) الشَّوَى: القوائم. ونَحْضُها، أي: لَحْمُها. والمُتُونُ: الظُّهورُ. والجُرْدُ: المُلْسُ. والآرَابُ هنا: جَمْعُ إِرْبَةٍ، وهي القِطْعَةُ من اللَّحم.